

كيف تعرف شخصية رفيق حياتك ؟



■ ماهية شخصية الرجل والمرأة ؟

الشخصية هي ذلك الكل المتحد من النزعات والصفات الثابتة نسبيا - سواء الاجتماعية منها أو الخلقية والجسمية والفكرية والعاطفية والسلوكية التي تميزه عن غيره من الناس وعلى ضوءها يلتف الناس حوله أو ينفضون عنه وفقا لمدى توافق وتطابق وجهات نظرهم مع وجهة نظره وسلوكه .

عبر يومنا نلتقى بأنواع عديدة من الناس ، والمؤمن كَيِّسٌ فطن ، يعرف ربه ويعرف نفسه وأحابيه وأعداءه ، ولا يتخبط بين أعمدة الوفاق والتفوق واللاوفاق . قد يغفل لحظة أو ينام أو يتعب يوما أو يتخلف عن مواصلة السير ، ولكنه سرعان ما ينهض من غفلته ويقوم من كبوته ، ويعاود الجهد والعمل والجهاد في ضوء المعقول والمنقول ، يهتدى بسنة السلف الصالح ومن قبلهم سنة المصطفى ﷺ وكتاب ربه الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وسنبداً موضوعنا هذا بتناول طرق الحكم على شخصية المرء (ذكرنا أم أنثى) في ضوء علم النفس ثم نتبعه في ضوء الإسلام . لنصحح بعض المفاصل والأخطاء في الفكر . ونتحكم في عواطفنا وانفعالاتنا . ثم نحسن تطبيق ما أدركناه وعلمناه وفهمناه .

فكم من زوج يتجرع المرارة في حياته الزوجية لأنه أخطأ في الحكم على نوعية المرأة التي اختارها بنفسه ، أو اختارها له أهله ، لأنهم ظنوا أن الشخصية الجميلة القديرة لا بد أن تكون صاحبها جميلة المنظر وإن نشأت في بيت سيئ المخبر .

وكم من امرأة تعاني وتكابد من جراء نكاحها زوجا فاسداً أساء أهلها اختياره ، لأنهم ظنوا أن صوت الدنانير والدراهم يعلو فوق صوت الحق !! وأنه لا يعيب الرجل إلا جيبه أو فقره ، ففضلوا رجلا غنياً في ماله فقيراً في أخلاقه على رجل فقير في ماله ثرياً في أخلاقه !!

إن إلماما سريعاً بماهية الشخصية ، ونوعها (سوية - معقدة - مريضة) ليمنح المرء قدرة خلاقة أن يستشف صورة صادقة للغد القريب من حياته في كنف شريك حياته (في الزواج) أو طبيعة الشراكة في مشروع ما مع من اختاره رفيقا في دربه

وأحلامه .. !!

وسيدرك الإنسان وقتها ما الاحتمالات المرتقبة لهذا الامتزاج .. النجاح أم
الفشل .. السعادة أم الشقاء .. النعيم أم الجحيم .. الصحة النفسية أم المرض !!
ترى ما الشخصية السوية ؟ وما الشخصية المعقولة ؟ وما الشخصية المريضة
نفسيا أو عقليا ؟

■ الشخصية السوية :

اختلف فى تعريفها علماء النفس فتراها تأخذ عدة تعريفات :

[أ] فى المعيار المثالى : الشخصية السوية هى الكاملة أو التى تقترب من
الكمال ومن ثم قالت مدرسة التحليل النفسى ليست هناك شخصية سوية .

[ب] المعيار الإحصائى : الشخصية السوية هى التى لا تنحرف كثيرا أو
إطلاقا عن المتوسط ، فهى ليست بالعبقرية وليست مع ضعاف العقول .

[ج] المعيار الحضارى : الإنسان السوى هو الذى يجارى قيم المجتمع وقوانينه
وأهدافه ومعايير ، أيا كانت تلك المعايير (صالحة أو فاسدة) بمعنى أنه يتكيف
ويتوافق مع نهج المجتمع ..

عيوبه :

- ١ - إذا توافق الإنسان وتكيف مع نهج المجتمع ولو كان فاسدا دون أدنى
اعتراض أو رفض اعتبر إنسانا سويا وإذا اعترض صار شاذا .
- ٢ - كل بلد أو بيئة أو مجتمع له قيم وأعراف تعد سلوكا طبيعيا فيه بينما تعد
سلوكا بغیضا وشاذا فى غيره مثلما فى بعض القبائل البدائية حيث يتزوج
الرجل المرأة وابنتها فى آن واحد ، وقد تتزوج المرأة أكثر من رجل فى آن
واحد ، وقد ينسب الولد إلى خاله وليس إلى أبيه فى بيئة أخرى .
- ٣ - غض الطرف عن بعض الجرائم واعتباره سلوكا طبيعيا مثل :
- وأد البنات خشية الإملاق أو العار لم يكن جريمة فى الجاهلية العربية قبل
الإسلام .
- التخلص من أبناء السفاح (وهم أجنة) فى بعض بلدان أوروبا لا يعتبر
كذلك جريمة .
- تخصيص أماكن خاصة لممارسة البغاء والشذوذ فى دول أوروبا .

- تخصيص أماكن للعب القمار وشرب الخمر والمجون .
- الانتحار فى الحضارة الغربية دليل على اضطراب نفسى وعقلى .
- الانتحار فى بعض مدن اليابان فى بعض الظروف يعتبر ظاهرة سوية .
- جنون التوهم والتقمص ؛ يعتبر سلوكا عاديا عند الهنود الحمر ويعتبر علامة مرضية عند الغربيين .

[د] المعيار السيكولوجى (الطبنفسى) : يرى أن الشخصية الشاذة هى تلك التى تنحرف أو تشذ نتيجة لصراعات نفسية لا شعورية أو نتيجة تلف فى الجهاز العصبى . ويعتبر هذا المعيار أفضل المعايير لأنه يمكن أن يطبق على أى مجتمع ويتلافى عيوب المعايير السالفة ، والشخصية السوية هى التى تحب وتُحب ، تعطى وتأخذ .. تألف وتؤلف وتتألم وتتكيف - مع المحافظة على قيمها ومبادئها - مع أفراد المجتمع الذين تضطربهم الظروف للعيش معهم أو العمل تحت إمرتهم .

■ أسباب الشذوذ فى الشخصية :

[١] عضوى (بنائى - فسيولوجى) : كتلف فى النسيج العصبى للمخ نتيجة وجود ورم أو خراج أو تجمع دمي أو تصلب فى شرايين المخ ، أو اختلال هرمونى عميق ، أو الإصابة بالتهاب فى أغشية المخ كالحمى الشوكية أو المخية أو اضطراب كبير فى عملية الأيض ، وينتج عن هذا الاضطراب العضوى بعض الأمراض العقلية كجنون الشيخوخة وجنون المخدرات والشلل الجنونى العام .

[٢] وظيفى (سيكولوجى) : هنا السبب يكون نفسيا وليس عضويا ، ويرجع إلى صدمات انفعالية حادة وأحداث أليمة واضطراب فى البيئة الأسرية والاجتماعية التى تربي فى كنفها هذا الإنسان الشاذ ، وينتج من هذا الاضطراب الوظيفى النفسى الأمراض النفسية والأمراض السيکوسوماتية وبعض الأمراض العقلية ، والانحرافات الجنسية (اللواط - السحاق) والإجرام النفسى المنشأ .

■ الشخصية المريضة نفسيا :

يشعر صاحبها بوجود أعراض نفسية وجسمية مختلفة كالقلق والوساوس القهرية والأفكار المتسلطة والمخاوف الشاذة والتردد المفرط والشكوك التى لا أساس لها ، وأفعال قسرية يجد المريض نفسه مضطرا إلى أدائها بالرغم من إرادته ومن أمثلتها : القلق العصبى - الهستيريا - الوسواس القهرى - المخاوف الشاذة .

■ الشخصية المريضة عقليا :

هى صورة مختلة يعانى صاحبها من اضطراب شديد فى مراكز الإراقة والفكر والإدراك والوجدان والنزوع ، وعجز بالغ عن ضبط النفس مما يحول دون الفرد وتدير شئونه ويمتنع من التوافق فى أى صورة من الصور سواء كان التوافق عائليا أو اجتماعيا أو مهنيا أو دينيا ، وأسبابها باختصار :

- عضويا : نتيجة لتلف النسيج العصبى من الزهري والمخدرات وتصلب الشرايين .

- وظيفيا : وتكون العوامل النفسية غالبية فى إحداثها مع توافر عنصر الوراثة.

■ الشخصية المعقدة نفسيا :

هى شخصية لديها مجموعة من الذكريات والأحداث غير السارة ، وهى مصحوبة بانفعال من الذعر أو الخوف أو الغضب أو الغيرة أو الشعور بالذنب ، وهى استعداد لا شعورى مكبوت يقسر المرء على ضروة شاذة من السلوك والشعور والتفكير ، والعقد أنواع مختلفة مثل عقدة زوج الأم ، وعقدة زوجة الأب أو الغيرة من الإخوة ، أو الشعور بالذنب ، وعقدة الحاجة .. إلخ .

وهناك أنواع أخرى لشخصيات سوية تتميز بنزعات وصفات خاصة ، ولكن أصحابها يتميزون بالقدرة على التكيف والتعامل مع الآخرين والإنتاج فى حدود طبيعية ، ولا تصل إلى درجة المرضية إلا إذا ازدادت وتضخمت خصائص كل منها إلى الحد الذى يفقد صاحبه الود والائتلاف مع الآخرين فلا يقدر على التكيف والتعامل مع المحيطين به ويقل إنتاجه وتظهر عليه أعراض المرض النفسى .

فهناك الشخصية القلقة : وتتميز بالتوتر والشد العصبى الدائم وسهولة الإثارة والغضب والشعور بعدم الاستقرار ويوصف صاحبها بأنه الإنسان الذى يمشى على رأسه بدلا من قدميه لأنه لا يترك الأمور تسير فى مجراها الطبيعى دون عصبية أو انفعال زائد .

والشخصية المكتئبة : وهى التى يتعامل صاحبها مع كل شىء فى الحياة بتشائم زائد ، وينظر دائما بمنظار قاتم حزين ، ويحمل نفسه ذنوب وأخطاء الغير .

أما الشخصية المرحية : فيعيش صاحبها المرح والفرح والحياة السهلة والتفاؤل المستمر .

وهناك الشخصية الوسواسية : وتتميز بالدقة والنظام الشديد والضمير الحى

الذى لا يرحم صاحبه ، ويحاسبه دائما ، ويتميز أيضا بالخص على إتمام الكمال فى تنفيذ كل عمل .

والشخصية الفصامية الانطوائية : وتراها فى الأفراد المفكرين والذين يتعاملون مع أنفسهم أكثر من تعاملهم مع الآخرين ، يحبون القراءة والعزلة ، ويجدون متعة فى التوقع والانطلاق مع النفس مع شىء من الحساسية المفرطة وسوء الفهم تجاه تصرفات وأفكار ومعاملات الآخرين ، مع بعض الشك المستمر والحذر والحرص الشديد فى العلاقات بهم .

أما الشخصية الهستيرية : فهى أكثر شيوعا فى المرأة عن الرجل وتتصف بسطحية العواطف والانفعال وحب الظهور ولفت الأنظار حولها والمظاهر الزائفة والمبالغة فى كل شىء .

وهناك الشخصية النوايية المتقلبة المزاج والانفعال : والتى يتأرجح فيها المزاج الوجدانى ما بين الفرح والسرور والحزن والقنوط .

وهناك كذلك الشخصية الصراعية الاندفاعية : وهى توصف بكثرة الرعونة والاندفاع الشديد مع الحيرة فى الطبع والتسرع والاندفاع فى أى فعل أو فكر .

الشخصية المؤمنة المترنة السوية : هى تلك التى يكون لصاحبها وعى عميق وحس صادق ومنطق راشد من خلال اهتدائها بكتاب ربها واتباعها سنة نبيها ﷺ وحبا للأدب والبلاغة والمنطق الكريم والحكمة والعلم .

ويستنتج ذلك من قصة هذا الأب الحكيم الذى أتاه ابن أخيه يخطب ابنته فسأله : يا ابن أخى .. أسمعنى عشر سور من القرآن الكريم .. فقال الله الشاب : والله لا أحفظ . فقال الأب : فأسمعنى عشرة أحاديث لرسول الله ﷺ ، فقال الشاب : والله لا أحفظ ، فقال الأب : فأسمعنى عشرة أبيات من الشعر ، فقال الشاب : والله لا أحفظ ، فقال الأب : قم يا ابن أخى فعلام أزوجك ابنتى ، فأنت لا تحفظ شيئا من القرآن ، ولا من سنة نبينا ﷺ ولا تحب الشعر والأدب ، فامض على بركة الله وخذ منى هذا المال هدية لك ولكن لا زواج لك عندى .

وهى تلك التى تتكيف مع المجتمع وأفراده فى حال صلاحه ، وتعانى من سوء التوافق فى حال ضياع المجتمع وفساد نظمه ، لكنها لا تنسحب ولا تنطوى على نفسها بل تعمل على نصح الأمة وحكامها بالحسنى والحكمة ، لتأخذ بيد الضعيف وليتوب العاصى ، وليعود الناس إلى العبادة الحققة لله .

وهى أيضا لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامها إلا تقي .. تنفيذاً لوصية المصطفى ﷺ الناصحة القوية المدوية فى أذن كل مسلم ومؤمن .

والشخصية المؤمنة السوية تسامح نفسها إن أخطأت فى الصغائر وتتوب إلى الله بسرعة ، وتلوم صاحبها إذا اقتربت من أسوار الكبائر ، هى لديها نفس لوامة (بغير إفراط أو تفريط) ، ونفس أوابة تتوب وترجع إلى الله وتعلم أن كل الناس لو أوصدوا أبوابهم أمامها ذات يوم فباب الله لا يوصد أبداً ، ومن عرف كيف يسامح نفسه ويغفر لنفسه زلاتها استطاع أن يقبل عذر المعتذر ، ويغفر إساءة المسئء لأن كل ابن آدم خطاء ، وهذه سنة البشر أجمعين ، ولكن أفضل الخطائين التوابون والراجعون إلى ربهم مرة أخرى ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .. !!

وهى كذلك تعرف فن الإقبال أو الإحجام فى حب ، أو كره ، فى عمل ، فى مشروع ، تعرف الانسحاب والهجوم ، لا تندفع خلف النزوات ، ولا تثير شهوتها المغريات ، ولا تتصرف كآلة صماء ، اقتداء بوصية رسول الله ﷺ : "أحب حبيبك هونا ما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما"^(١) . وهى أيضاً إذا شبت لا تبطر ، وإذا جاعت لا تصخب ، وإذا جاءها البلاء صبرت ، وإذا أتاها الرخاء شكرت فاستحقت الأجر والرضاء من الله تعالى فى كافة أحوالها ، قال رسول الله ﷺ : "عجبا لأمر المؤمن وكل أمره عجب ، إذا أصابته ضراء صبر فاستحق الأجر ، وإذا أصابته سراء شكر فاستحق الأجر"^(٢) .

والنفس السوية تحب لنفسها الخير وتسعى لعمله ، وتحب لغيرها الخير كذلك وتدعوها لبذله ، هى إذا حضرت فى مجلس مظلم أضاءته بذكر الله تعالى والحمد لله والاستغفار إليه ، والصبر على الشدائد ، وإن كان المجلس مضيئاً زادت فيه ضياء ، بحضورها تأتى السعادة والطمأنينة والبهجة إلى نفوس الجالسين ، وبغيابها يفتقد الناس إلى شىء ثمين .. !! .

حياتها عطاء ، وتضحية وبذل .. ولا تنتظر من أحد جزاءً أو شكوراً لأنها تعمل من أجل الله سبحانه وتعالى ، وكفى الله وكيلًا وحسيباً .. !!

(١) أخرجه الترمذى فى سننه (٢٠٦٥) ، وقال حديث غريب .
(٢) أخرجه مسلم فى الزهد (٦٤) ، والدارمى فى الرقائق (٦٤) ، وأحمد (٤٣٥/٤) .